

## معاني (همزة) الاستفهام في شعر السياب

الاستفهام : لغة : طلب الفهم<sup>(١)</sup> ، وفي اصطلاح النحويين والبلاغيين (( طلب حصول صورة الشيء ، في الذهن))<sup>(٢)</sup> .

وهو من أساليب الإنشاء الطلبي<sup>(٣)</sup> التي لها الصدارة في الكلام فـ((لا يجوز تقدم شيء مما في حيزه عليه فلا تقول: ( ضربت أزيداً؟) وما أشبه ذلك))<sup>(٤)</sup> ، وذلك (( لأَنَّك لو أخرته تناقض كلامك فلو قلت : جلس زيد أين؟ جعلت أول كلامك جملة خبرية ، ثم نقضت الخبر بالاستفهام فلذلك وجب أن يتقدم الاستفهام ))<sup>(٥)</sup> .

والاستفهام يؤدي بأدوات منها حروف<sup>(٦)</sup> ، وهي (الهمزة ) ، و(أم) ، و (هل) ومنها أسماء ومنها ظروف. والهمزة أصل أدوات الاستفهام<sup>(٧)</sup> ، عند أكثر النحويين والبلاغيين، وتنفرد عن بقية أدوات الاستفهام بأمر هي:

أ - للهمزة تمام الصدارة في الاستفهام فهي تدخل على (مَنْ) الاستفهامية<sup>(٨)</sup> ، وعلى الواو والفاء العاطفتين<sup>(٩)</sup> ، وعلى أدوات الشرط<sup>(١٠)</sup> .

ب - يطلب بها التصوير، نحو : أقام محمد أم قعد ؟ كما يطلب بها التصديق، نحو: أقام محمد؟ أمّا بقية أدوات الاستفهام فتختص إمّا بطلب التصوير كـ(ما، ومن ، وأين، وكم وأي، ومتى ، وكيف) وإمّا بطلب التصديق كـ(هل)<sup>(١١)</sup> .

ج - جواز حذفها للتخفيف فلا يقدر عند الحذف سواها من أدوات الاستفهام<sup>(١٢)</sup> وقد أجمع النحويون والبلاغيون على أن (همزة) الاستفهام تأتي لمعانٍ مجازية أخرى غير معنى الاستفهام الذي هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن ولاسيما في القرآن الكريم والشعر العربي، فالاستفهام الحقيقي يجب أن يصدر عن شاكٍ مصدقٍ بإمكان الإعلام ، لأن غير الشاك إذا استفهم يلزم تحصيل الحاصل وإذا لم يصدق بإمكان الإعلام انتفت فائدة الاستفهام<sup>(١٣)</sup> وهذا لا ينطبق بمجمله على القرآن الكريم فالله سبحانه وتعالى منفي عنه ذلك، لأنه عالم ومستغن عن طالب الإفهام، أمّا في الشعر فليس من شأن الشاعر طلب الفهم عن شيءٍ جهله، وإنما الشاعر يستعمل أسلوب الاستفهام كي يجسد معاناته وتجاربه الشعورية به، فيكون هذا الأسلوب عنده وسيلة من وسائل اتساع المعنى وإثرائه وتنويع الأفكار والصور والمواقف لذلك كان استعمال السياب لـ(همزة) الاستفهام كثيراً ، إذ وردت عنده في ما يزيد على (سبعين ومئتي) مرة، فجاءت عنده بمعانٍ عدة ممّا أضفت على شعره الغموض والإبهام والتوسع بالمعنى الذي كان غالباً ما يتقصده فـ(همزة) الاستفهام تنماز عن بقية أدوات الاستفهام بكثرة ورودها لهذه المعاني وتفصيلها، يقول التفتزاني: ((وأمّا غير (الهمزة) فيجيء للتقرير والإنكار ولكن لا يجري فيه هذه التفاصيل، ولا يكثر كثرة الهمزة فلذا لم يبحث فيه))<sup>(١٤)</sup> .

فمثال ذلك التفصيل نجد أن (الهمزة) في معنى التقرير تستعمل في تقرير المخاطب بالفعل نحو: (أكرمت علياً)، وبالفاعل، نحو: (أنت أكرمت)، وبالمفعول نحو: (أعلياً أكرمت)، أما بقية أدوات الاستفهام فلا يجري فيها هذا التفصيل فلا تستعمل للتقرير بالفعل أو الفاعل أو المفعول، وإنما تأتي (هل) للتقرير بمضمون الجملة فقط، وتأتي بقية الأدوات للتقرير بمدلولاتها، وهو ما يطلب التصور بها<sup>(١٥)</sup>، وهكذا بقية المعاني كالإنكار والتوبيخ والتمني وغيرها.

وهذا يؤكد ما ذهب إليه النحويون من جواز تقديم الاسم على الفعل مع الهمزة وعدم جواز ذلك مع أدوات الاستفهام الأخرى، يقول ابن يعيش: ((وتقول: (أزيذا ضربت؟)، فتقدم المفعول وتفصل به بين (همزة) الاستفهام والفعل، ولا يجوز ذلك في غيرها مما تستفهم به، فلا تقول: (هل زيذا ضربت؟)، ولا (متى زيذا ضربت؟))<sup>(١٦)</sup>.

ومن أهم المعاني التي جاءت بها همزة الاستفهام في شعر السياب هي التقرير والتمني، والنفي، والتعجب، والتبكي، والتشوق، والتوبيخ، والدعاء، والأمر، والعتاب، والإشفاق، والتنبيه والتحذير، وجاءت بمعنى الاستفهام الحقيقي في بضعة مواضع ومن الجدير بالذكر أن همزة الاستفهام لم تأت للتسوية عند السياب على الرغم من كثرت مجيئها في العربية بهذا المعنى وهذا من خصائص لغة شعره فهو يبتعد عن التقليد ويميل إلى الخلق والإبداع مما أقام لنفسه أسلوباً شعرياً خاصاً به وسنتناول معانيها في شعره على النحو الآتي وبحسب كثرة ورودها عنده .

١ - التقرير: ذهب عدة نحاة إلى أن (الهمزة) قد تستعمل في معنى التقرير، يقول سيبويه في معرفة كلامه على الفرق بين همزة الاستفهام و(هل): ((ومما يدل على أن (ألف) الاستفهام ليست بمنزلة (هل)، أنك تقول للرجل: (أطرباً؟) وأنت تعلم أنه قد طرب، لتوبّخه وتقرره. ولا تقول هذا بعد(هل))<sup>(١٧)</sup>.

وقد وردت (الهمزة) بمعنى التقرير كثيراً في شعر السياب، من ذلك قوله:

ألم تخنك الدراري مذ شغفنَ بها؟ وكيف وارين غرب الدمع حين هما(١٨)

وقوله:

فيم الفراق أليس يجمعنا حب نظل عليه نعتنق<sup>(١٩)</sup>

فدخول الهمزة على (لم و ليس) في هذين البيتين أفاد معنى التحقيق والتقرير وهو (حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر ثبوته ونفيه)<sup>(٢٠)</sup>.

وقد ذهب النحويون<sup>(٢١)</sup> إلى أن (ألم، وأليس) تفيدان معنى الإيجاب والإثبات، وتعليل ذلك أنهما حرفي نفي، والاستفهام ليس بواجب كالنفي، فلما دخل النفي على النفي انقلب إيجاباً<sup>(٢٢)</sup>.

ومن الجدير بالذكر أن استعمال السياب لهذا النمط (الهمزة + لم) يُعدُّ قليلاً جداً إذا ما قيس بالاستعمال القرآني، فدخول همزة الاستفهام على (لم) ظاهرة واسعة في العربية ولاسيما في القرآن الكريم<sup>(٢٣)</sup>.

وذهب الدكتور مصطفى النحاس إلى أن (ألم، وأليس) تفيدان التقرير والتحقيق ((إذا لم يتلها" فعل رؤية ولا علم ولا نظر ولا هدى ولا تفكير ولا تدبر وأن لا يكون معناهما الإنكار مع التوبيخ مثل ((ألا)))<sup>(٢٤)</sup>.

على حين أنها جاءت في غير هذا النمط كثيراً بمعنى التقرير، من ذلك قوله:  
أرأيت قافلة الضياع ؟ أما رأيت النازحين؟<sup>(٢٥)</sup>

دل الاستفهام هنا على التقرير والتحقيق لأن الشاعر يعلم أن ليس هناك عربي أو مسلم على سطح الأرض إلا وهو يعلم بما جرى للشعب الفلسطيني من الصهانية، فجاءت همزة الاستفهام لـ(حمل المخاطب على أن يقرّ بأمرٍ يعرفه))<sup>(٢٦)</sup>.  
وقوله:

أحزناً على ما أصاب القطيع رفيق هواها ، عراها السقم<sup>(٢٧)</sup>

وقوله:

أحزناً على ما أصاب القطيع أليف الروابي، اعتراك الألم<sup>(٢٨)</sup>

في هذين البيتين وردت (همزة الاستفهام) داخلة على المصدر المنصوب (حزناً) ودلّ الاستفهام فيهما على معنى التقرير والتحقيق، وهو هنا لفظه استفهاماً ومعناه إخبار<sup>(٢٩)</sup>، لذلك صح عند النحاة أن يعطف عليه الخبر<sup>(٣٠)</sup>. والشاعر يريد هنا أن يقرر شيئاً ويخبر عنه هو أن الألم والسقم الذي أصاب الراعية هو حزن على موت قطيعها .

٢ - التعجب: ذكر النحويون أن الاستفهام يأتي للتعجب (( لأن أصل الاستفهام الخبر، والتعجب ضربٌ من الخبر، فكأنّ التعجب لما طرأ على الاستفهام أعاده إلى أصله من الخبرية))<sup>(٣١)</sup>.  
وقد وردت (همزة الاستفهام) في شعر السياب بمعنى التعجب في بضعة عشر موضعاً ، نحو :  
أتعلمين أيّ حزنٍ يبعثُ المطرُ؟<sup>(٣٢)</sup>

ونحو:

أحسدن الطغاة على منة للخيال؟<sup>(٣٣)</sup>

ونحو :

أصيخي: أما تسمعين الرنين تدوي به الساعة القاسية!؟<sup>(٣٤)</sup>

ونحو:

أما تبصرين الدخان الثقيل يجر الخطى من فم الموقد<sup>(٣٥)</sup> !؟

وردت ( همزة الاستفهام) في هذه المواضع بمعنى التعجب ففي الموضع الأول يتعجب الشاعر من شدة الحزن الذي يؤثر في الطبيعة حتى يبعث المطر وفي الثاني يتعجب من شدة مرض الطغاة حتى أنهم يحسدون من يقدم لهم الخدمة ويبذل نفسه من أجلهم على خيال بسيط خلق بهم في أجواء الخلاص والتحرر.

وكذلك في البيتين الآخرين نراه يتعجب من الرنين والدخان، ونحو:

يمناك والنور الضئيل .. أكان ذاك هو الوداع؟! (٣٦)

في هذا البيت يتعجب الشاعر من موقف الوداع المخيف والمؤلم ولاسيما إذا كان في وقت الغروب الذي يتنفس حزناً.

٣ - النفي: ذكر كثير من النحاة والبلاغيين أن الاستفهام يخرج إلى معنى النفي (٣٧)، واستشهدوا بعدة آيات منها قوله تعالى: (( أفأنت تنقذ من في النار )) الزمر- آية: ١٩ . أي لست منقذهم. وقد استعمل السياب (همزة الاستفهام) بمعنى النفي كثيراً من ذلك قوله:

آه زوجتي، قدرتي. أكان الداء (٣٨)

ليقعدي كأني ميّت سكران لولاها

دلّ الاستفهام في هذا الموضع على معنى النفي. والتقدير: ( لولا زوجتي لما كان الداء يقعدي ... ). وقد ابتدأ الشاعر بجملة جواب الشرط لأنها المعنى الأهم لديه (٣٩)، فالداء هو الشاغل الأول للسياب في هذه المرحلة. وقوله:

أعمرَ ألفَ عامٍ؟ ليته شهد الخلاق وهي تعبر شُرْفَةَ الأزلِ؟ (٤٠)

دلّ الاستفهام في هذا الموضع على معنى النفي، فالشاعر يقول: إن الإنسان لم يعمر ألف عام ففيم هذا الغرور. وقوله:

يقولون: (( مازلت تحيا )) .. أحييا (٤١)

كسيح إذا قام أعياء

وقوله:

زان وزانية؟ .. أيمكن ذلك وهي بلا عشاء (٤٢)

وقوله:

ورواه من ثغرها كأس راح؟ (٤٣)

أيشقى الذي ضمّه صدرها

دلّ الاستفهام في المواضع الثلاثة الأخيرة على معنى النفي

وقوله:

أحبُّ فاسقةً تواصل فاسقاً هيهات لست - وإن رمتني - عاشقاً (٤٤)

فالشاعر في هذا البيت ينفي أن يكون عاشقاً لهذه المرأة لأنها امرأة فاسقة وعلى تواصل بالفاسقين فهو ينفي هذه التهمة عنه.

٤ - التمني: جاءت همزة الاستفهام بمعنى التمني بشكل واسع عند السياب فمن ذلك قوله:

ألا يتسنى يا ابنة الحب ساعةً لروحي أن ترقى النهود العواريا (٤٥)

في هذا البيت أفادت همزة الاستفهام الداخلة على - لا - النافية معنى التمني لأن الذوق  
يأبى أن تكون (ألا) في هذا البيت بمعنى العرض.  
وقوله:

يا سندباد ، أما تعود؟<sup>(٤٦)</sup>  
وقوله:

يا برق ، أما تخبو<sup>(٤٧)</sup>  
فيغيبَ الدرب ولا يبدو.

وقوله:

تأتينَ أنتِ إلى العراق؟<sup>(٤٨)</sup>  
أمدُّ من قلبي طريقه.

فأمشي عليه. كأنما هبطت عليه من السماء

في هذه المواضع وردت همزة الاستفهام داخلة على الأفعال المضارعة المنفية بـ(ما) (تعود، وتحبو، وتأتين)، ودلَّ الاستفهام فيها على معنى التمني ، ففي الموضع الأول تتمنى الزوجة عودة زوجها الذي طال غيابه عنها فكأنه سندباد في مغامراته، وفي الموضع الثاني يتمنى الشاعر أن يطبق الظلام على هذه الأرض حتى يغيب الدرب ولا يبدو لغرض في نفسه، وفي الموضع الأخير يتمنى الشاعر لو أن الشاعرة الغربية التي إتقأها في باريس أن تفي بوعدا وتزوره في العراق. ولا يخلو هذا الأسلوب من التعجب وغالباً ما يأتي التمني عند الشاعر ممزوجاً بمعنى التعجب أو بمعنى آخر كالتحزن والتشوق وغيرها من المعاني الأخر.  
وقوله:

أما من شبابي الذي مرَّ ذكرى؟<sup>(٤٩)</sup>  
أما منه مالٌ وبقياً شمم؟

وقوله:

أما كان في الريف شيء كهذا؟ أما تُشبه الربة الغابرة؟<sup>(٥٠)</sup>

يتمنى الشاعر في هذا البيت لو أن هذه الفتاة التي أحبها في بغداد أن تكون معه في الريف، فهو لا يريد أن يفارق وطن طفولته وصاباه ولا يريد أن يخسر هذه الحسنة التي سحرته بجمالها أو أنه يتمنى لو أن الحضارة والثقافة التي وجدها في نساء بغداد تفيد منها نساء ريف جيکور وهو لا يخلو من معنى التحزن والتوجع بسبب الحرمان الذي يطبق على ريف العراق بأجمعه  
آنذاك .

وقوله:

يا شمس أيامي أما من رجوع؟<sup>(٥١)</sup>

دلّ الاستفهام هنا على معنى التمني والشاعر هنا يود لو أنه يرجع إلى أيام الشباب والمرح وهو أمرٌ مستحيلٌ وقد أخذ هذا المعنى من قول الشاعر:

إذ كنتُ في وادي العتيق راتعا  
يا ليت أيام الصبا رواجعا<sup>(٥٢)</sup>

٥ - الدعاء: ورد الاستفهام بمعنى الدعاء في العربية وفي القرآن الكريم، نحو قوله تعالى: ((أتهلكنا بما فعل السفهاء منا)). الأعراف - ١٥٥. وهو يكون من الأدنى إلى الأعلى وقد وردت الهمزة بهذا المعنى في بضعة مواضع من شعر السياب، نحو:

وهز حفار القبور<sup>(٥٣)</sup>

يمناه في وجه السماء ، وصاح : ربّ : أما تثور

دلّ الاستفهام هنا على (الدعاء) لأنه من الأدنى إلى الأعلى المطلق وهو أسلوب يستعمله الإنسان المتذمر لأن الإنسان السوي لا يدعو الله تعالى بهذا الأسلوب غير العقلاني. فحفار القبور الذي بقي أياماً بلا طعام صرخ كالثائر - بعد أن هز يديه في وجه السماء - ربّ : أما تثور.

ونحو: ألا وُقِرْتُ آذانُ من يسمعونه  
بأشلاءِ قلبٍ في ضلوعي مقتل<sup>(٥٤)</sup>

ونحو: ألا نُثِرْتُ من تحت أقدامه أسيّ  
حجارةِ ذاك المسجد المتبتّل<sup>(٥٥)</sup>

في هذين البيتين دخلت همزة الاستفهام على "لا" النافية للدعاء فعكست معنى الدعاء إذ صار الدعاء طلب إثبات الفعل بعد أن كان قبل دخول الهمزة نفي الفعل لأن نفي النفي إثبات. ولا يخفى علينا أثر التصنع في هذين البيتين فكان الشاعر مقلداً في المعنى للشعراء الرومانسيين وفي اللفظ مقلداً للشعراء الجاهلين ولاسيما امرئ القيس الكندي.

ونحو : أليس يكفي أيها الإله<sup>(٥٦)</sup>

أنَّ الفناء غاية الحياة

ينم هذا الأسلوب عن تذمر الشاعر ومقته للواقع الذي يعيشه مما ولد عنده شعوراً جعله يخاطب الله سبحانه وتعالى بهذا الأسلوب الذي لا يليق للسوي أن يخاطب خالقه بمثله، ودلّ الاستفهام على (الدعاء) لأنه جاء من الأدنى إلى الأعلى.

٦ - التشويق: لم نجد فيما بحثنا في كتب اللغة والبلاغة أن الاستفهام يأتي بمعنى التشويق إلا ما جاء على السنة الشعراء من ذلك قول المتنبي:

نحن أدرى وقد سألنا بنجد  
أقصيرٌ طريقتنا أم يطول<sup>(٥٧)</sup>

وكثيرٌ من السؤال اشتياقٌ  
وكثير من رده تعليلٌ .

(( وهذه طريقة الشعراء ، والإنسان إذا اشتاق إلى الشيء سأل عنه مع علمه به ، وإذا أحب شيئاً أكثر ذكره وأكثر السؤال عنه ))<sup>(٥٨)</sup>. ويبدو أن السياب أراد أن يجسد هذا المفهوم في شعره فأستعمل همزة الاستفهام بمعنى التشويق بشكل واسع في شعره ، نحو:

آه يا قمر<sup>(٥٩)</sup>

أما لثمت وجه غيلان؟ أنا الغريب  
ونحو: أين أنت؟ أسمعين<sup>(٦٠)</sup>

صرخات قلبي وهو يذبحه الحنين إلى العراق؟  
ونحو: يا سماء، ويا قبور... أما أراها؟<sup>(٦١)</sup>

جاء الاستفهام في هذه المواضع دالاً على التشويق ففي الموضع الأول اشتاق الشاعر لرؤية  
ولده غيلان الذي فارقه طويلاً، وفي الموضع الثاني اشتاق الشاعر إلى وطنه العراق. أما في  
الموضع الأخير فقد اشتاق حفار القبور إلى المومس التي قضى معها ليلة حمراء.  
٧- التوبيخ: ذكر سيبويه أن الاستفهام يأتي بمعنى التوبيخ<sup>(٦٢)</sup> واستشهد بقول هند بنت  
عتبة<sup>(٦٣)</sup>.

أفي السلم أعياراً جفأً وغلظةً وفي الحرب أشباه الإمام العوارك؟  
وقد يجتمع التوبيخ بمعان عدة<sup>(٦٤)</sup> كالذم، والتجهيل بمكان المنفعة، والعتاب والتنبيه على  
الخطأ والتأنيب، والإنكار.

وقد ورد هذا الاستعمال بشكل ملحوظ في شعر السياب، من ذلك، قوله:

أما سمعت هتاف الرواح؟<sup>(٦٥)</sup>

"خام وزنبيل من التراب"

وآخر العمر ردى". ويطلع القمر.

دل الاستفهام في هذا المقطع على ((الإنكار التوبيخي)) الذي يقتضي أن ما بعده واقع وأن  
فاعله ملوم<sup>(٦٦)</sup>. وأفاد أيضاً معنى ((التنبيه والتحذير))، يقول سيبويه: ((حدثنا بعض العرب، أن  
رجلاً من بني أسد قال يوم جيلة واستقبله بعير أعور فتطير منه فقال: ((يا بني أسد، أعورٌ وذا  
نابٍ؟ فلم يرد أن يسترشدهم ليخبروه عن عوره وصحته، ولكنه نبههم، كأنه قال: أتستقبلون  
أعور وذا نابٍ؟! فالاستقبال في حال تنبيهه إياهم كان واقعاً.. وأراد أن يثبت لهم الأعور  
ليحذروه))<sup>(٦٧)</sup>. وكذلك السياب أراد أن ينبه نفسه بأسلوب توبيخي على أن ليس هناك مفراً من  
الموت.

وقوله: أما زلت مستسلماً للأتين رويداً، فعهدي بها لا تلين<sup>(٦٨)</sup>

وقوله: أما زلت في غفلة يا حزين أحببت سواك فقيم الحنين<sup>(٦٩)</sup>

دل الاستفهام في هذين البيتين على (التوبيخ والتنديم)) ففي البيت الأول وبخ الشاعر نفسه  
لأنه يحن ويئن لأجل سراب كان يتوقعه ماء زلالاً يروي ظمأه فصاحبته لا تلين له فكان حزيناً  
لأجلها. وفي البيت الآخر وبخ الشاعر نفسه وسخر منها لأنه مازال في غفلة من الواقع فهو  
ينتظر حبها ويحلم في وصالها في الوقت الذي قد أحببت غيره.

٨ - التبكيت: وهو كالتقريع والتعنيف<sup>(٧٠)</sup>، وقد ذكر النحاة والبلاغيون<sup>(٧١)</sup> أن الاستفهام يخرج إلى معنى التبكيت واستشهدوا بآيات عدة من القرآن الكريم، نحو قوله تعالى (( يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله )) المائدة : ١١٦ ، فقالوا: إنما يُسأل عيسى (ع) تبكيتاً للنصارى فيما ادعوه.<sup>(٧٢)</sup>

وقد جاءت همزة الاستفهام في شعر السياب بهذا المعنى في بضعة مواضع، نحو :  
ويح العراق : أكان عدلاً فيه أنك تدفعين<sup>(٧٣)</sup>.

سهاد مقلتك الضريرة.

أفاد الاستفهام في هذا الموضوع معنى (( التبكيت )) فتساءل الشاعر تبكيتاً للحكومات المتسلطة على الشعب آنذاك .

ونحو:

أكانت سدى كل تلك السنين      وقد هدنا السير في دربها<sup>(٧٤)</sup>

دل الاستفهام في هذا البيت على معنى التبكيت فعلى الرغم من أن محبوبية الشاعر تكبرة بسبع سنين إلا أنها رفضته فتساءل تبكيتاً لها عن تلك السنين التي تكبره بها .

٩ - التفخيم والتهويل: يأتي الاستفهام بمعنى التفخيم والتهويل كثيراً في العربية والقرآن الكريم<sup>(٧٥)</sup> وقد ورد الاستفهام بمعنى التفخيم والتهويل بشكل ملحوظ من ذلك قوله:

وأصغى :أذاك انهيار الحجار<sup>(٧٦)</sup>

أم الموت يحسو كؤوس الهواء؟

دل الاستفهام في هذا الموضوع على التفخيم والتهويل إذ نجد الشاعر قد جسد الموت بشكل مهول ومخيف ، إذ عادل حسو الموت لكؤوس الهواء بانهيار الحجار ونحن نعلم أن الحسو هو شرب الحساء بمهل<sup>(٧٧)</sup> فكيف لو مضغ هذا الموت هذه الكؤوس وهي تحتوي على مادة أكثر من الهواء.

وقوله : بطيء موتنا المنسل بين النور والظلمة<sup>(٧٨)</sup>،

له الويلات من أسد نكابد شدقه الأرد!

أنارُ البرق من عينه أم من شعلة المعبد ؟

أفي عينيه مبخراتان أوجرتا لعشتار؟

أنافذتان من ملكوت ذاك العالم الأسود؟

في هذا المقطع أراد الشاعر أن يرسم صورة مخيفة للموت فوصفه بالأسد وصار يتحدث عن عينيه ويصفهما بأسلوب استفهامي دل على معنى التهويل والتفخيم .

١٠ - التحزن والتحسر والتوجع:

ذكر البغدادي أن الاستفهام في قول الشاعر :



أساءلت رسم الدارِ أم لم تُسائلِ      عن السكّنِ أم عن عهده بالأوائل  
خرج لمعنى ( التحزن والتوجع ) ، فقال: (( كأنه استنكر أن تكون دارهم بالحالة التي رآها  
فجعل سؤاله سؤال من لا يثبته ، تعظيماً للأمر ))<sup>(٧٩)</sup>.

وقد ورد هذا المعنى عند السياب باستعمال الهمزة كثيراً ولاسيما في مرحلته الأخيرة التي  
اقتربت بمرضه الطويل، فمن ذلك قوله وهو يخاطب أمه التي توفيت قبل أكثر من ثلاثين عاماً:

أما حملت إليك الريحَ عبرَ سَكينةِ الليلِ<sup>(٨٠)</sup>  
بكاء حفيدتيك من الطوى وحفيدك الجوعان

وقوله :

أما رنَّ الصدى في قبرك المنهار من دهليز مستشفى<sup>(٨١)</sup>

دلَّ الاستفهام في هذين الموضعين على معنى (( التحزن والتحسر والتوجع )) ، فنجده  
يخاطب أمه متسائلاً: أما سمعتي بكاء ابنتي (( آلاء )) و (( غيداء )) ، وولدي (( غيلان )) بسبب  
الجوع، وهل رنَّ صدى صراخي وأنيبي في قبرك. وكأن السياب قد استنكر أن يكون هذا مصيره  
ومصير أطفاله، فخاطب أمه التي لم يجد غير حضنها الدافئ حضاناً.

وقوله: ألبيتُ في نوحٍ وتسهيّدٍ      وتبيت تحت وسائد الغيد؟<sup>(٨٢)</sup>

دلَّ الاستفهام في هذا البيت على معنى التحسر فالشاعر يتحسر على مكانة شعره عند  
النساء.

#### ١١ - الاستفهام الحقيقي:

لم تأتِ همزة الاستفهام بمعنى طلب الفهم في شعر السياب إلا في ثلاثة مواضع نحو:  
أسائلُ كلَّ ما طفلٍ<sup>(٨٣)</sup>:

(( أبصرت ابنتي ؟ رأيتهما ؟ أسمعت ممشاها ؟ ))

وردت همزة الاستفهام في هذا المقطع ثلاث مرات وفي جميعها دلَّ على طلب الفهم فالأم قد  
سألت كل من تلقاه عن طفلتها الضائعة وهي بحاجة إلى جواب والجواب يكون إما بـ (( نعم ))  
وإما بـ (( لا )) لأن الهمزة جاءت لطلب التصديق .

١٢ - التكتيثر: استعمل الشاعر همزة الاستفهام بهذا المعنى في موضعين وهو أسلوب لم تعهده  
العربية في الهمزة وإنما يأتي كثيراً باستعمال (( كم )) ولكن للشاعر أن يبتدع أساليب لم تعهدها  
اللغة وهذا من عوامل نمو اللغة فمن ذلك قوله:

أسرتُ ألفَ خطوة ؟      أسرتُ ألفَ ميلٍ؟<sup>(٨٤)</sup>

دلَّ الاستفهام في هذا الموضع على معنى (( التكتيثر )) ، فالراوي هو الذي سار وهو الذي  
تكلم فأراد أن يقول: لقد سرت كثيراً ولم أبلغ حد سور مدينة (( إرم )) وفيه أيضاً معنى التعجب .

١٣ - العتاب: نحو : أختاه ، صمتك ملؤه الريب      فيم الفراق ؟ أماله سبب؟<sup>(٨٥)</sup>.

١٤ - التفجع : نحو : أهذا هو الشاعر؟<sup>(٨٦)</sup>

حديثٌ ينيم الصحاب

إذا مات أو عاش هو الألم

في هذا المقطع يتفجع الشاعر من مصيره ونهايته إذ يصبح قصة تتناقلها الناس وحديثاً  
للسمر فضلاً عن فجيعة في مرضه.

١٥ - الأمر: وقد ورد في موضع واحد ، نحو:

و.. نسيت .. أما من أغنية؟<sup>(٨٧)</sup>

بِمَ يهذر هذا المذيع ؟

دلّ الاستفهام هنا على ((الأمر)) لأن الخطاب جاء من الأعلى إلى الأدنى ، فالكلام موجه  
من السيدة صاحبة الدار إلى الخادمة ((مرجانة)) وقد طلبت منها أن تدير الموجة على إذاعة  
لندن لأن فيها موسيقى ((جاز)).

١٦ - المعاني المتداخلة:

يتسم شعر السياب بالغموض والإبهام وغالباً ما كان يتقصد إليه الشاعر وقد جسد بعضاً  
من هذا الغموض والإبهام بوساطة تشابك المعاني وتداخلها في أسلوب واحد ، فيبقى المتلقي  
متحيراً متفكراً في معرفة المعنى الذي يريده الشاعر ، فمن ذلك قوله:

موت يمد الحياة الحزينة؟<sup>(٨٨)</sup>

أم حياة تمد الردى بالدموع؟

دلّ الاستفهام في هذا الموضع على معانٍ عديدة تتذبذب في الوضوح كالأضواء البعيدة كلما  
لاح لك ضوء اختفى عنك آخر، وقد تقصد الشاعر في ذلك لجسد حيرته وتذبذبه . فالبيت يدل من  
جهة على التوجع والتحسر لأن جيکور شابت<sup>(٨٩)</sup> وقد ولى شبابها. ويدل أيضاً على التفجع وكذلك  
يدل على ((التفخيم والتهويل)) ويدل على التعظيم فمشيب جيکور شيء مهول وعظيم ، فجاءت  
المعاني متشابكة متداخلة لا تستند إلى حلٍ عقلي منطقي يمكننا أن نشبهها بمسألة أسبقية البيضة  
أم الدجاجة.

وفي ختام هذا البحث يمكننا القول إنَّ السياب استعمل همزة الاستفهام بمعانٍ عديدة مما  
وفر له حرية أسلوبية في تجسيد معاناته وتجاربه الشعورية، فضلاً عن ابتداعه أسلوباً خاصاً به  
إذ كان يستعمل المعاني التي استعملها العرب في أسلوب النداء وأسلوب الأمر والنهي في أسلوب  
الاستفهام ، مما أضفى عليها سحراً وتألقاً فغدت ألفاظه مفعمة بالحيوية والحركة والتجدد ، فنراه  
متفرداً في أسلوبه فكان بحق رائداً من رواد الشعر الحديث .

## الهوامش

١. ينظر : لسان العرب: مادة (فهم) : ٢٦٤/١٢ .
٢. التعريفات: ٢٧ .
٣. ينظر: الإيضاح للقزويني: ٢٢٨/١ .
٤. المفصل: ٣٢٠ .
٥. الأمانى الشجرية: ٢٦٤/١ .
٦. ينظر : الكتاب : ١٧٥، ١٨٩/٣ .
٧. ينظر: نفسه: ٩٩/١ .
٨. ينظر: معنى اللبيب: ١٥/١ .
٩. ينظر : الكتاب: ١٨٧/٣ - ١٨٩ ، وجواهر الأدب : ٢٢ .
١٠. ينظر: الكتاب : ٨٣/٣ ، ومعنى اللبيب: ١٥/١ .
١١. ينظر : وجواهر الأدب : ٢١ .
١٢. ينظر: الكتاب: ١٨٤/٣ ، ومعنى اللبيب: ١٤/١ ، وهمع الهوامع : ٦٩/٢ .
١٣. ينظر: البرهان: ٣٢٦/٢ - ٣٢٧ .
١٤. مختصر التفتراني - شروح التلخيص: ٢٩٦/٢ .
١٥. ينظر: مواهب الفتاح- شروح التلخيص : ٢٩٥/٢ ، والكشاف: ٣٧٩/١ .
١٦. شرح المفصل: ١٥١/٨ ، وينظر: المفصل : ٣١٩ .
١٧. الكتاب: ١٧٦/٣ ، وينظر: المقتضب: ٢٨٩/٣ .
١٨. الديوان: ١٣٦/٢ .
١٩. نفسه : ٥٢/١ .
٢٠. معنى اللبيب: ١٨/١ .
٢١. ينظر : حروف المعاني: ١٩ ، ومعاني الحروف: ٣٢ .
٢٢. ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن: ٥٩٦/٢ ، والبرهان: ٤٦/١ ، ومعاني النحو: ٦٠٣/٤ .
٢٣. ينظر: الحروف العاملة في القرآن الكريم: ٦٣٣ - ٦٣٤ ، ٧٠٢ - ٧٠٣ .
٢٤. دراسات في الأدوات النحوية : ٩٠ .
٢٥. الديوان: ٣٦٨/١ .
٢٦. شرح الكافية: ٣٨٨/٢ ، وينظر: معنى اللبيب: ١٨/١ .
٢٧. الديوان: ١٨٥/٢ .
٢٨. نفسه: ١٨٦/٢ .
٢٩. ينظر: جامع البيان: ١٤/٣٠ .
٣٠. ينظر: الكشاف: ٣١١/٣ .
٣١. الخصائص: ٢٦٩/٣ .
٣٢. الديوان: ٤٧٦/١ .
٣٣. نفسه: ٢٤٦/٢ .
٣٤. نفسه: ٨٠/١ .

نفسه : ٨٠/١	٣٥
نفسه : ٧٦/١	٣٦
ينظر : الكشاف : ٩٧/٢ ، وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : ٤٤٥ - ٤٤٦	٣٧
الديوان : ٦٤٢/١	٣٨
في التركيب اللغوي للشعر المعاصر : ٢٩٩	٣٩
الديوان : ١٧٨/١	٤٠
نفسه : ٦٤٤/١	٤١
نفسه : ٥٣١/١	٤٢
نفسه : ١٦٧/٢	٤٣
نفسه : ٣٥٩/٢	٤٤
نفسه : ١٢٧/٢	٤٥
نفسه : ٢٣١/١	٤٦
نفسه : ٢٦٧/١	٤٧
نفسه : ٦٢٢/١	٤٨
نفسه : ٢٩١/١	٤٩
نفسه : ١٩/١	٥٠
نفسه : ٤٢٨/١	٥١
ينظر شرح شواهد المغني : ٢٩٠/٢ ، وتهذيب المغني : ١٩٥	٥٢
الديوان : ٥٤٦/١	٥٣
نفسه : ١٥٧/٢	٥٤
نفسه : ١٥٧/٢	٥٥
نفسه : ٧٠٦/١	٥٦
شرح ديوان المتنبي للعكبري : ١٥١/٣ - ١٥٢	٥٧
نفسه : ١٥١/٣	٥٨
الديوان : ٦٧٤/١	٥٩
نفسه : ٦٧٧/١	٦٠
نفسه : ٥٦٠/١	٦١
ينظر : الكتاب : ٣٤٣/١ - ٣٤٤	٦٢
ينظر : نفسه : ٣٤٤/١ ، ومعجم شواهد العربية : ٢٥٨/١	٦٣
ينظر : الكتاب : ٢٠٦/٢ ، وجامع البيان : ١٨٨/١ ، والكشاف : ٥٢٦/١ ، ٧٣/٢	٦٤
الديوان : ٢٧٥/١	٦٥
ينظر : الكتاب : ٣٤٣/١	٦٦
نفسه : ٣٤٣/١	٦٧
الديوان : ٢٩٣/٢	٦٨
نفسه : ٢٩٥/٢	٦٩

٧٠. ينظر: لسان العرب: مادة (بكت)
٧١. ينظر: الكتاب: ٣٠٧/١ - ٣١٠، والكامل: ٣٣٣/١، ٨٥/٢، والصاحبي: ١٥٢، والكشاف: ١٦١/٣، وشرح المفصل: ٥٠/٢.
٧٢. الصاحبي: ١٥٢.
٧٣. الديوان: ٥٣٩/١.
٧٤. نفسه: ٩٢/٢.
٧٥. ينظر: الصاحبي: ١٨١، والكشاف: ٤٢١/١، و١٤٩/٤، وشرح الكافية: ٢٧٠/١، و٥٣/٢.
٧٦. الديوان: ٦٧٦/١.
٧٧. مختار الصحاح: مادة (حسا): ١٣٧.
٧٨. الديوان: ٤٨٨/١.
٧٩. خزانة الأدب: ٤٩٢/٥ - ٤٩٣.
٨٠. الديوان: ٦٧٤/١.
٨١. نفسه: ٦٧٣/١.
٨٢. نفسه: ١٠٩/١.
٨٣. نفسه: ١٥٥/١.
٨٤. نفسه: ٦٠٤/١.
٨٥. نفسه: ٥٢١/٢.
٨٦. نفسه: ٢٩٢/١.
٨٧. نفسه: ٣٢٩/١.
٨٨. نفسه: ٢٠٨/١ - ٢٠٩.
٨٩. هذا المقطع من قصيده عنوانها (( جيكور شابت )) وقد كان الشاعر فيها حائرا قلقاً.

## المصادر والمراجع

١. أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، د. قيس إسماعيل الأوسي، دار الحكمة، بغداد / ١٩٨٨م.
٢. الأمالي الشجرية، أبو السعادات هبة بن علي بن حمزة العلوي الحسيني ابن الشجري (ت - ٥٤٢هـ) ، مطبعة دار المعرفة ، بيروت (د.ت).
٣. الإيضاح في علوم البلاغة - مختصر تلخيص المفتاح ، الخطيب القزويني، منشورات مكتب النهضة - بغداد / د.ت.
٤. البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١، مصر / ١٩٥٧م.
٥. البيان في غريب إعراب القرآن ، أبو البركات الاتباري (ت - ٥٧٧هـ) تح: د.طه عبد الحميد طه، مصر / ١٣٨٩هـ - ١٩٧٢م.
٦. التعريفات ، أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني ، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد (د.ت).
٧. تهذيب المغنى ، إعداد لجنة تنظيم الكتب الدراسية ، ط٤ ، الناشر: كلية أصول الدين ، قم، إيران الإسلامية/ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت - ٣١٠)، بيروت / ١٩٨٤م.
٩. جواهر الأدب في معرفة كلام العرب ، علاء الدين الأربلي(ت ٧٤١هـ)، تح: حامد أحمد نيل، مطبعة السعادة - القاهرة / ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
١٠. الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين ، هادي عطية مطر الهلالي ، ط١، مكتبة النهضة العربية، عالم الكتب- بيروت / ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١١. حروف المعاني، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، تح: علي توفيق الحمد، دار الأمل - بيروت/ ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
١٢. خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر البغدادي (ت - ١٠٩٣هـ) تح: عبد السلام محمد هارون ، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة / ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
١٣. الخصائص ، ابن جنبي (ت - ٣٩٢هـ) ، تح: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، (د.ت).
١٤. دراسات في الأدوات النحوية ، د. مصطفى النحاس ، ط١، الربيعان للنشر والتوزيع - الكويت / ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- ١٥ . ديوان بدر شاكر السياب ( المجموعة الكاملة ) : المجلد الأول، دار العودة ، بيروت / ١٩٧١م ، المجلد الثاني، دار العودة ، بيروت/ ١٩٧٤م.
- ١٦ . شرح شواهد المعنى ، جلال الدين السيوطي ، تصحيح وتعليق العلامة محمد محمود الشنقيطي لجنة التراث ، دار النهضة العربية/ ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- ١٧ . شرح المفصل ، ابن يعيش النحوي ( ت - ٦٤٣هـ ) ، عالم الكتب - بيروت ، مكتبة المتنبي والقاهرة / ( د.ت ).
- ١٨ . شروح التلخيص، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر ، ويتضمن : أ- مختصر سعد الدين التفتراي(ت- ٧٩٣هـ) على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ( ت - ٧٣٩هـ).
- ت - مواهب الفتاح في شروح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي.
- ج- عروس الأفراح في شرح التلخيص لبهاء الدين السبكي (ت - ٧٧٣هـ).
- ١٩ - الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، أحمد بن فارس ( ت - ٣٩٥هـ ) تح: مصطفى الشومبي، مؤسسة: أ- بدران للطباعة والنشر - بيروت / ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.
- ٢٠ - الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، عارضة بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي - القاهرة ( د. ت ).
- ٢١ - الكتاب ، سيبويه ( ت - ١٨٠هـ ) ، تح: عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة / (لسنوات مختلفة).
- ٢٢ - الكشاف ، الزمخشري ، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان / ( د.ت ).
- ٢٣ - لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور المصري، دار صادر - بيروت .
- ٢٤ - مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي ( ت - ٦٦٦هـ ) ، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان / ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٢٥ - معاني الحروف ، أبو الحسن الرماني ، تح : د. عبد الفتاح إسماعيل شبلي ، ط٢ ، دار الشروق - جدة/ ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٢٦ - معاني النحو ، د. فاضل صالح السامرائي ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة / ١٩٩١م.
- ٢٧ - مغنى اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني المصرية(د.ت).
- ٢٨ - المفصل في علم العربية ، أبو القاسم محمود الزمخشري ، دار الجبل للنشر- بيروت - لبنان / ( د.ت ).
- ٢٩ - المقتضب ، المبرد، تح: محمد عبد الخالق عزيمة ، عالم الكتب ، بيروت / د. ت
- ٣٠ - همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية ، جلال الدين السيوطي ، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ( د.ت ).